الاتحاد والتعاون

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان اجتماعيا بطبيعته لا يمكنه القيام بأعباء هذه الحياة منفردا . ولا الحصول على لوازمه وحده. بل لابد له من مشاركة غيره. وقد اشتهر عن الحكماء أن الإنسان مَدَنى بالطبع . ولهذا كان الاتحاد والتعاون من أكبر لوازم الحياة لتذليل صعابها . والتغلب على مشقاتها . وإن ما نشاهده من إنجاز الأعمال والفوز بثمرة نتائجها لجماعة المتعاونين . وما نراه من خذلان الفرد الشاذ فى جميع أحواله لأكبر دليل واضح على عظم فوائد الاتحاد والتعاون . فكيف بعد هذا لا يتضافر المرء مع أخيه ويتعاونان معا فى كل أمورهما حتى تتضاعف جهودهما فيصلا إلى مأربهما. ثم هو يعلم أن الحشرات الصغيرة تتعاون على جلب قوتها وتتحد على محاربة من يتعرض لها بأذى أو يمسها بسوء. وهو أحرى بذلك منها لما تميز به من العقل والفكر

قال الله تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) وقال تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُد بعضُه بعضا) وقال عليه الصلاة والسلام (يد الله على الجماعة) وقال عليه السلام (والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) وقال (مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى) ورُوى عنه عليه الصلاة السلام أنه قال (إن الله يرضى لكم ثلاثةً ويكره لكم ثلاثا. يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئا. وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تتفرقوا. وأن تَناصحوا من وَلاَّهُ الله أمرَكم ويكرهُ لكم قيلَ وقالَ وكثرةَ السؤال وإضاعةَ المال) وقال عليه السلام (إن الشيطان للإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية [1] فإياكم والشِّعابَ [2] وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد)

وقال قيس بن عاصم

إن القداح إذا اجتمعن فرامها

بالكسر ذو حنَقٍ [3] وبطشٍ أيِّدِ [4]

عَزَّت [5] فلم تُكسر وإن هى بُددت [6]

فالوهن [7] والتكسير للمتبدِدِ

---

(١) البعيدة الشاردة (٢) التفرق (٣) غيظ (٤) شديد (٥) قويت (٦) تفرقت (٧) الضعف

وقال الشاعر

واشدد يديك بحبل الله معتصما ... فإنه الركنُ إن خانتك أركان

وقال آخر

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

***

الأمانة

هي رعاية حقوق الله تعالى بتأدية ما على المرء من الفرائض والواجبات . فلا يخون له عهدا ولا يجحد له فضلا . وكذلك حفظ حقوق عباده فلا يطمع في وديعة أؤتمن عليها أو ينكر مالا وُكل إليه أمر حراسته . فليس من الدين ولا من العقل والكرامة أن يستحل الإنسان لنفسه مالا ليس له فيه حق بعد أن اعتقد به ذووه خيرا وظنوا فيه حسنا . وكيف يرضى أن يبوء بغضب الله تعالى عليه وبغض الناس له. لا أظن أن صاحب الشيم الكريمة والأصول العريقة يرضى لنفسه أن يوصم بمثل ذلك . وإخاله يترفع عن أن يُنسب إليه غدرٌ أو خيانه

قال اللهُ تعالى (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى

أَهْلِهَا) وقال تعالى (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) وقال جل شأنه (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وقال عز وجل (إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تَخُنْ من خانك) وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تقبَّلوا لى ستا أتقبل لكم بالجنة . إذا حدث أحدكم فلا يكذب . وإذا وعد فلا يخلف . وإذا اؤتمن فلا يَخن) ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (لا إيمان لمن لاأمانةَ له ولادينَ لمن لاعهدَ له) وعنه عليه السلام أنه قال (إذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظر الساعة . قال وكيف إضاعتها يارسول الله . قال إذا أُسند الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة) وقال عليه السلام (لاتزال أمتى بخير مالم تر الأمانةَ مَغْنَما[1] والصدقةَ مَغْرما[2]) وقال (الأمانة تجلب الرزق . والخيانة تجلب الفقر) وعن عمرو ابن الحمق رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أيُّما رجل أمَّن رجلا على دمه ثم قتله فأنا برىء من القاتل

(١) المغنم الغنيمة وهى الفرصة . (٢) المغرم الأداء بالالزام

وإن كان المقتول كافرا) وقال صلى الله عليه وسلم لسيدنا أبي بكر رضى الله عنه (عليك بصدق الحديث . ووفاء العهد. وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء)

وقال خالد الربعى ٥ قرأت فى بعض الكتب السالفة إن مما تُعجل عقوبته ولا تؤخر. الأمانة تُخان. والإحسان يُكفر. والرحم تُقطع . والبغى على الناس

وقال بعض الحكماء. لو علم مضيع الأمانة ما فى النكث [1] والخيانة لقصر عنهما عنانه. وقال آخر من خان مان [2] . ومن مان هان وتبرأ من الإحسان . وقيل فى منثور الحكم من يخن يهن: ومن الكرم الوفاء بالذمم . وقيل أيضاً. من ضيّع الأمانة ورضى الخيانة فقد برئ من الديانة

وقال الشاعر

واعمل بمفروض الأمانة والتقى

وانهى عن النُّكر [3] الفظيع وفعله

وقال آخر

وإذا اؤتمنت على الأمانة فارعها [4] * إن الكريم على الأمانة راعى

{١} نقض العهد {٢} كذب {٣} المنكر {٤} لاحظها وحافظ عليها

الرفق

هو التذرع بالشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات . لا فرق بين إنسان وحيوان . والعطف على البؤساء والضعفاء . ومعاملة جميع الناس بالرأفة . ولين الجانب . والابتعاد عن القسوة والغلظة . وهو من دواعي الألفة والتواصل . وسبب إلى السلام والوئام . وعماد السعادة وأس النظام . فكثيرا ماقطع الخُرق[1] تواصلا . وفك ترابطا . وكم أفسد العنف نظاما . وسبب هلاكا . وكم أخل أعمالا وضيع آمالا . ولقد وصف الله تعالى نفسه بالرحمة فقال جل شأنه (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وقال عز وجل (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب الرفق في الأمر كلّه) وقال عليه الصلاة والسلام (من أوتى حظّه[2] من الرفق فقد أوتى حظه من الدنيا والآخرة) ورُوى عنه عليه الصلاة

---

(١) الحمق والغلظة (٢) نصيبه

والسلام أنه قال (ماكان الرفق فى شىء إلا زانه ولا نُزع من شىء إلا شانه) وقال عليه السلام (ارحموا تُرحموا واغفروا يُغفر لكم) وقال (لاتُنزع الرحمة إلا من قلب شقى) وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله رفيق يحب الرفق . ويُعطى على الرفق مالا يعطى على العُنف ومالا يعطى على سواه) وعنه عليه السلام أنه قال (الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء)

وقال معاوية . عجبت لمن يطلب أمرا بالغلبة[1] . وهو يقدر عليه بالحجة . ولمن يطلبه بخُرق وهو يقدر عليه برفق

وقال أشجع السلمى لجعفر بن يحيى . ما كاد يُدرك بالرجال ولا بالمال ما أدركت بالرفق

وقال بعض الحكماء . يُدرك بالرفق مالا يُدرك بالعنف . ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته

وقال بعض العقلاء . إذا لم يُدرك الظفر بالرفق والتأنى فبماذا يدرك . وقال آخر . يد الرفق تجنى ثمرة السلامة . ويد الخُرق

---

(١) القهر

تفرس شجرة الندامة. وقيل. الرفق مفتاح النجاح. وقيل أيضا. بالرفق تستجلب القلوب

وقال أبو الفتح البستى

ورافق الرفق فى كل الأمور فلم
يندم رفيق ولم يذممه إنسان
ولا يغرّنك حظّ جرّه خرق
فالخُرق هدْم ورفق المرء بنيان

وقال النابغة الذبيانى

الرفق يُمن[1] والأناة سعادة * فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

وقال الشاعر

تنال بالرفق وبالتأنى مالم تنل بالحرص والتّمنى[2]

وقال آخر

من يستعن بالرفق فى أمره * يستخرج الحية من وكرها

وقال غيره

تأنّ ولا تعجل لأمر تريده
وكن راحما للناس تُبلى براحِم

---

(١) بركة {٢} التعب والمقاساة

بر الوالدين

ليس هناك من مخلوق لا يشعر بما للوالدين من الولاء الجميل والفضل الجزيل فهما سبب وجوده فى هذه الحياة . وقد راعياه مراعاة الحنان والإكرام منذ الصغر . وربياه جهد طاقتهما حتى الكبر فلم يألوا جهدا فى إرضائه والعمل على تمام راحته . وإذا كان هذا هو حالهما معه . فما أولاه أن يقابلهما بمثل إكرامهما له . وبرهما فى كبرهما مقابل عطفهما عليه فى صغره . ويساعدهما فى لوازم الحياة بكل ما أوتى من قوة وما وُهب من عقل . وهو يعلم أنه ليس من الدين ولا من المروءة أن يقابلهما بالعقوق . ويجحد فضلهما عليه . وينكر ماقدماه له من خدمات جليلة . وما تحملاه معه من متاعب جسيمة . ولقد حثنا الله تعالى بوجوب برهما والإحسان إليهما فى كثير من الآيات القرآنية

فقال جل شأنه (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا [1] وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا .

{1} تزجرهما

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) وقال عز وجل (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بَرُّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بآبائكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب) ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (من أرضى والديه فقد أرضى الله ومن أسخط [1] والديه فقد أسخط الله) وعنه أنه قال (من برّ والديه طوبى [2] له زاد الله فى عمره) وقال عليه السلام (مامن رجل ينظر إلى وجه والديه نظرةَ رحمة إلا كتب الله له بها حجةً مقبولة مبرورة) وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يجزى ولدٌ والدا إلا أن يجده مملوكا فيعتقه [3]) وعنه أنه قال (طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد) وقال (اثنان يعجلهما الله فى الدنيا . البغى وعقوق الوالدين) وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الكبائر . الإشراكُ بالله . وعقوق الوالدين . وقتل

{١} أغضب (٢) أصاب خيراً وطيبا (٣) يجعله حرا

النفس . واليمين الغموس[1]) وعنه عليه السلام أنه قال (ليلة أُسرى بي رأيت أقواما في النار معلقين في جذوع من نار. فقلت مَن هؤلاء ياجبريل . قال الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا)

وقال الحسن البصري .حق الوالد أعظم . وبر الوالدة ألزم

وقال محمد بن علي رضي الله عنه . إن الله تعالى رضى الآباء للأبناء فحذرهم فتنتهم ولم يوصهم بهم . ولم يرض الأبناء للآباء فأوصاهم بهم . وإن شر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق

وقد رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يطوف بالكعبة حاملا أمه على رقبته فقال يا بن عمر أترى أني جزيتها . قال لا ولا بزفرة واحدة . ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا وقيل . العقوق ثُكْل[1] من لم يَثْكل

وقال الشاعر

وعليك برّ الوالدين فضيلة * وارعى بذى الأرحام نعمة فضله

ياطالما عطفوا عليك برأفةٍ

ربّوك في حجر الدّلال[3] وظلّه

---

(١) هي التي تغمس صاحبها في الاثم (٢) الثكل فقدان المرأة ولدها (٣) أدل عليه اذا ثقل عليه وتوقا بمحبته

فاشكر محاسن والديك وعزهم * واخفض لهم عز الجناح بذله

وقال آخر

لأمك حق لو علمت كبير * كثيرك ياهذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى

لها من جواها [١] أنة وزفير

وفى الوضع لاتدرى عليها مشقة

فمن غصص [٢] منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها * وما حجرها إلا لديك سرير

وتفديك مما تشتكيه بنفسها * ومن ثديها شرب لديك نمير [٣]

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها * حنوا وإشفاقا وأنت صغير

فضيعتها لما أسنّت جهالة * وطال عليك الأمر وهو قصير

فآها لذى عقل ويتبع الهوى * وآها لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب فى عميم دعائها * فأنت لما تدعو إليه فقير

وقال غيره

وأطع أباك بكل ما أوصى بهِ * إن المطيع أباه لا يتضعضع [٤]

وقال غيره

{١} الجوى الحرقه {٢} الهم والحزن {٣} ناجع (٤) لا يذل

والوالدين فأكرم تنج من ضرر
ولا تكن نكِدًا تستوجب النقما

وقال غيره

عليك ببر الوالدين كليهما وبر ذوى القربى وبر الأباعد

صلة الرحم

تتكون حياتنا الاجتماعية من الأسر (والعائلات) فإذا تفككت عرا اتصال هذه الأسر. وتحللت روابط تلك العائلات فقد ضاع القصد منها. وأصبح كل فرد منعزلا عن الآخر يهيم على وجهه فى الفيافى والقفار. لا يجد له ناصرا ولا يرى له معينا وحينئذ فلا تجد للحياة نظاما. ولا للعيش سعادة. ولهذا كانت صلة الرحم السبيل الأقوى إلى توطيد عرا المحبة. وتوثيق روابط الألفة والوئام. فمن تجرأ على قطع تلك العلائق. وفصم[1] هاتيك الصلات بين الأقارب. فقد اعتدى على النظام الإلهى ثم لا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا

قال الله تعالى (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ

{١} قطع

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) وقال تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) وقال جل شأنه (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) وقال عز وجل (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقال مه فقالت هذا مقام العائذ [1] بك من القطيعة . قال نعم أما ترضين أن أصل من

(١) الملتجىء

وصلك وأقطع من قطعك. قالت بلى رضيت يارب. قال فذلك لك)
وقال عليه السلام (صلة الرحم تزيد العمر) ورُوى عنه عليه الصلاة
والسلام أنه قال (يقول الله عز وجل أنا الرحمن وهي الرحم اشتققت
اسمها من اسمي فمن وصلها وصلته . ومن قطعها قطعته) وعنه أنه
قال (اثنان لا يُنظر إليهما يوم القيامة قاطعُ الرحم وجارُ السوء)
وقال (صلة الرحم وحسنُ الخلق وحسن الجوار يُعَمِّرْنَ الديار
ويَزِدْنَ في الأعمار) وروى ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال (أسرع الخير ثوابا . البر وصلة الرحم. وأسرع الشر عقوبة.
البغي وقطيعة الرحم) ورُوى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعين فقال
(يامعشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب
أسرع من صلة الرحم : وإياكم والبغي فإنه ليس من عقوبة أسرع
من عقوبة البغي . وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد
من مسيرة ألف عام . والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم)

وقال بعض الحكماء . بِلُّوا [1] أرحامكم بالحقوق ولا تجفوها
بالعقوق

---

(١) صلوا

وقال بعض الأدباء . من لم يصلح لأهله لم يصلح لك . ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك

وقال بعض البلغاء . صلوا أرحامكم فإنها لا تُبلى عليها أصولكم ولا تُهضم عليها فروعكم . وقال آخر . من وصل رحمه وصله الله ورحمه

وقال محمد بن عبد الله الأزدى

وحسبك من ذل وسوء صنيعةٍ
مناوأة (١) ذى القربى وإن قيل قاطعُ
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبهُ لترجعه يوما إلىّ الرواجعُ
ولا يستوى فى الحكم عبدان واصلٌ
وعبد لأرحام القرابة قاطعُ

العمل للدارين

تقضى الشريعة الإسلامية . والقوانين الإلهية أن يعمل الإنسان للدنيا والآخرة معا . بحيث لا ينكب على الدنيا ويفرط فى الحب لها والولوع بها . فيسوقه ذلك إلى التغالى فى لذاتها . والانهماك

(١) معاداة

في شهواتها . فينسى عاقبته ويخسر آخرته . ولا يترك الدنيا مطلقا ويرغب عنها كلية . فيضيعها ويقضي على الغرض منها . وحين إذ ذاك يكون قد أخلّ بنظام الكون . وخالف قوانين الشريعة

وقد قال الله تعالى (وَابْتَغِ [1] فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)

وقال تعالى (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا . واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) وقال عليه الصلاة والسلام (ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة . ولا الآخرة للدنيا . ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه) ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (أعظم الناس همًّا المؤمن يهتمّ بأمر دنياه وأمر آخرته) وعنه أنه قال (خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته . ولم يكن كلًّا [2] على الناس) وقال دعوا الدنيا لأهلها . من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه [3]

---

(١) اطلب (٢) الكل الذي لا خير فيه والعيل والضعيف (عاله) (٣) هلاكه

وهو لا يشعر) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من أحب دنياه أضر بآخرته . ومن أحب آخرته أضر بدنياه . فآثروا ما يبقى على ما يفنى)

وقال علي كرم الله وجهه لرجل ذم الدنيا عنده . الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها . ودار غنى لمن تزود منها

وقال سفيان الثوري رحمه الله . مكتوب في التوراة . إذا كان في البيت برة[1] فتعبد . وإذا لم يكن فاطلب . يابن آدم حركك يدك يسبب لك رزقك . وقال وهب بن منبه . مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين[2] إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى

وقال ابن السماك . من جرعته الدنيا حلاوتها بميله إليها . جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها

وقال بعض الحكماء . ليكن طلبك الدنيا اضطرارا . وتذكرك في الأمور اعتبارا . وسعيك لمعادك[3] ابتدارا[4] . وقال آخر . انظر إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق لها . ولا تتأملها تأمل العاشق الوامق[5] بها . وقال غيره . ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها

---

(١) قمح (٢) الضرتان هما الزوجتان لرجل واحد (٣) آخرتك (٤) مسرعا (٥) المحب

وقال بعض السلف . الموت قصارك [١] فخذ من دنياك لأخراك . وقال آخر . إنى وجدت خير الدنيا والآخرة فى التقى والغنى . وشر الدنيا والآخرة فى الفجور والفقر . وقال غيره من عمل للآخرة أحرزها [٢] والدنيا . ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة .

وقال جرير .

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال محمود الوارق .

لا تتبع الدنيا وأيامها ... ذما وإن دارت بك الدائره
من شرف الدنيا ومن فضلها ... أن بها تستدرك الآخره

وقال أبو العتاهيه

لا تلهينك عن معادك لذة ... تفنى وتورث دائم الحسرات
إن السعيد غدا زهيد قانع ... عبد الاله بأخلص النيات

وقال الشاعر

واجعل إلى الأخرى بدارك [٣] بالتقى
تغنم فما الدنيا بدار بدار
واعمل لتلك الدار ما هى أهله ... عمل المدارى [٤] أهل هذى الدار

---

(١) غايتك وآخر أمرك (٢) فاز بها (٣) اسراعك (٤) المداراة الملاينة

الكرم والمعروف والإحسان

صفات جليلة فى النفس تدفعها إلى فعل المكرمات . ومد يد المساعدة لذوى الحاجة والبائسين . والعمل على تخفيف الكوارث[1] عمن سطا عليهم الدهر . وصرعتهم شقوة الحياة . وهى العوامل الفعالة إلى غرس بذور المحبة بين الناس . وتوطيد علائق الألفة بين الأفراد . ويكفى المرء دليلا على الترغيب فى التخلق بها ماقرنه الله تعالى من البركة والنماء فى أرزاق المحسنين . وماوعدهم أياه من الثواب والأجر العظيم

قال الله تعالى (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) وقال تعالى (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) وقال جل شأنه (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) وقال عز وجل

---

(١) المصائب

(وما تُنفِقُوا مِنْ خَيرٍ يُوَفَّ إِلَيكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)
وَقَالَ تَعالى (وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) وقال تعالى
(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) وقال تعالى
(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا
لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استنزلوا الرزق بالصدقة)
وقال عليه الصلاة والسلام (حَصِّنوا أموالكم بالزكاة . وداووا
مرضاكم بالصدقة) ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن
الصدقة لتطفئ عن أهلها حرَّ القبور . وإنما يستظل المؤمن
يوم القيامة فى ظل صدقته) وعنه أنه قال (إن أهلَ المعروف
فى الدنيا هم أهلُ المعروف فى الآخرة . وإن أولَ أهلِ الجنة دخولا هم
أهل المعروف) وقال (اصنع المعروف إلى مَن هو أهله وإلى غير
أهله . فإن أصبتَ أهله أصبت أهله وإن لم تُصب أهلَه كنت أنت
أهله) وقال (جُبلت[1] القلوب على حب من أحسن إليها) وبغض من
أساء إليها) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) خلقت

وسلم قال (مامن يوم يُصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط مُنفقا خلفا . ويقول الثاني اللهم أعط مُمسكا تلفا) وعنه عليه السلام أنه قال (قال الله تعالى أنفق يا بن آدم يُنفق عليك) وقال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) وقال (كل معروف صدقة . والدالّ على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان)

وقال على كرم الله وجهه . لا تستحي من عطاء القليل فلن حرمانه أقل منه . ولا تجبن عند الكثير فإنك أكثر منه

وقال الأحنف بن قيس . ما ادخرت الآباء للأبناء . ولا أبقت الموتى للأحياء شيئا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب

وقال سعد بن العاصى . قبّح الله المعروف إن لم يكن ابتدئ من غير مسألة فالمعروف عوض عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه فقلبه خائف . وفرائصه ترعد . وجبينه يرشح . لا يدرى أيرجع بنُجْح الطلب أم بسوء المنقلب

وقال بعض الحكماء . إن فى الكرم عزّ الدنيا . وشرف

الآخرة وحسنَ الصيت . وخلود[1] جميل الذكر . وقال آخر المجود يوجب المدح . والبخل يوجب الذم . وقال غيره . اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله . وأحسن والدولة لك يُحسن لك والدولة عليك . واجعل زمانَ رخائك عدة لزمان بلائك

وقال أحد الأدباء . من لم يصن وجهه عن مسألتك فصن وجهك عن رده . وقال آخر . أفضل الناس ما عاش الناس في فضله . وزارع البر يحصد السرور

وقال أحد العقلاء . جود الرجل يحببه إلى أعدائه . وبخله يبغضه إلى أوداده . وقال آخر . من كثرت عوارفه[2] كثرت معارفه

وقال أحد البلغاء . من بذل ماله أدرك آماله . وقال آخر . أفضل العطية جهدُ المقل[3]

وقال أحد الفضلاء للمعروف خصائل ثلاث : تعجيله وتيسيره وتستيره . فمن أخلّ بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط عنه الشكر

وقال أحد الأجواد . خير النوال ما وصل قبل السؤال . وقال آخر . أكمل الخصال ثلاثة . وقار بلا مهابة . وسماح بلا

(١) الخلود دوام البقاء (٢) العارفة المعروف (٣) طاقة الفقير

طلب مكافأة . وحلم بغير ذل

وكتب كسرى إلى بعض عماله . استقلل كثير ماتُعطى ؛ واستكثر قليل ما تأخذ . فإن قرّة عين الكريم فيما يُعطى . وقرة عين اللئيم فيما يأخذ . ولا تجعل الشّحيح لك ممينا . ولا الكذاب أمينا . فإنه لا إعانة مع شح [1] ولا أمانة مع كذوب

وقال صالح بن عبد القدوس

وإذا اتّسعت برزق ربك فاجملَنْ
منه الأجلّ [2] لأوجه الصدقات

وقال أيضا

ويُظهر عيبَ المرء في الناس بخلُهُ ويستره عنهم جميعا سخاؤه
تغطّ بأثواب السخاء فإنني أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

وقال الأنصارى

وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهمُ وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أُعوِزتمُ [3] فتعففوا
وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلى

---

(١) بخل (٢) معظمه (٣) الاعواز الفقر

أرى الناس خلّان الجواد ولا أرى ... بخيلا له في المالين خليل

وقال الشاعر

خير أيام الفتى يوم نفع * واصطناع المعروف أبقى مُصطنع

ما يُنال الخير بالشر ولا * يحصد الزارع إلا ما زرع

وقال آخر

كن حسنا ما استطعت فهذه الدنيا وإن طالت قصيرٌ عمرُها

إن المآثر في الورى ذريةٌ * يفنى مؤثرها ويبقى ذكرُها

فترى الكريم كشمعة من عنبرٍ * ضاءت فإن طفئت تضوع[1] نشرُها

وقال غيره

إذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندًى * فأنت إذًا والمقترون سواء

على أن في الأموال يوما تباعةً[2] * على أهلها والمقترون براء

وقال غيره

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ * فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وقال غيره

---

(١) انتشرت رائحتها (٢) التباعة التبعة وتكون عقيب كل فعل ذميم

من يشمل الخير لا يعدم مجازيه [1]

لا يذهب العرف بين الله والناس

الشكر

اعتراف للمرء بالإحسان لمؤديه . وإقراره بالثناء على مسديه فمجحد النعمة كفور . وإنكارها لؤم . لهذا كان من الواجب أن يشكر الإنسان المولى المفضل الأجل على تواتر نعمه ومزيد إحسانه حتى يضاعف له في رزقه ويبارك له في عمله . كما يجب عليه ألا يجحد شكر من قدم إليه صنيعا حسنا أو أولاه معروفا . فإذا فعل ذلك فقد أدى الواجب واستحق العطف والمعونة متى عرته [2] شدة أو نابته نائبة

قال الله تعالى (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) وقال تعالى (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشكر الناس لله أشكرهم للناس) وقال عليه الصلاة والسلام (من صلى الصلوات

---

(١) من الجائزة وهي العطية (٢) غشيته

الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه فى إدبارهما فقد شكرهما)
وقال عليه السلام (أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد لها جزاء
إلا الدعاء والثناء فقد كافأه) ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام أنه
قال (التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر . ومن لا يشكر
القليل لا يشكر الكثير . ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله
والجماعة رحمة والفُرقة عذاب) وعنه أنه قال (من أتى إليكم معروفا
فكافئوه . فإن لم تجدوا فادعوا له) وقال (أيما عبد جاءته موعظة
من الله فى دينه فهى نعمة من الله عليه . فإن قابلها بالشكر . وإلا
كانت حجة من الله عليه ليزداد إثما ويزداد الله عليه بها سُخْطا)

وقال على كرم الله وجهه . كفر النعمة لؤم

وقال الحسن . كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم
منها . فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها

وقال عمر بن عبد العزيز . تذكروا النعم فإن ذكرها شكر

وقال المغيرة بن شعبة . اشكر لمن أنعم عليك . وأنعم على من
شكرك . فإنه لا بقاء للنعم إذا كُفرت . ولا زوال لها إذا شُكرت

ودخل أبو هرون على بعض الحكماء . فقال له يرحمك الله ما شكر
العينين . قال إذا رأيت بهما خيرا ذكرته . وإذا رأيت بهما شرا

سترته . قال فما شكر الأذنين : قال إذا سمعت بهما خيرا حفظته وإذا سمعت بهما شرا نسيته

وقال عبد الحميد الكاتب . من لم يشكر الإنعام [١] فاعدده من الأنعام [٢]

وقال بعض الحكماء . من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة . ومَن مَنَّ [٣] بمعروفه سقط شكره . ومن أُعجب بعمله حبط أجره . وقال آخر . كفر النعمة من أمارات البطر وأسباب الغِيَر

وسئل بعضهم ما أضيع الأشياء . قال المطر الجوْد [٤] فى أرض سبخة لا يجف ثراها [٥] ولا ينبت مرعاها . وسراج يوقد فى الشمس . وصنيعة تُسدى إلى من لا يشكرها

وقال بعض الأدباء . الشكر أفضل من النعم . لأنه يبقى والنعم تفنى . وقال آخر . من أعطى أربعا لم يُمنع من أربع . من أعطى الشكر لم يُمنع المزيد . ومن أعطى التوبة لم يُمنع القبول . ومن أعطى الاستخارة لم يُمنع الخيرة . ومن أعطى الاستشارة

{١} النعم والصنائع {٢} الابل والبقر والغنم {٣} عد ما فعله من الاحسان {٤} الغزير {٥} ترابها

لم يُمنع الصواب . وقال غيره . لا تسوء إلى من أحسن إليك : ولا تَمُن على من أنعم عليك . وقال غيره . من بذل بعض عنايته لك فابذل جميع شكرك له

وقال بعض الفضلاء . إذا قصرت يدُك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر

وقال بعض الحكماء . أمسكوا المعروف من ثلاثة اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة . والفاسق فإنه يرى أن الذي صنعت إليه إنما هو لمخافة فحشه . والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه

وقال بعض الفصحاء . الكريم شكور أو مشكور . واللئيم كفور أو مكفور . وقال آخر . من كفر نعمة المفيد استوجب حرمان المزيد . وقيل . قيمة كل نعمة شكرها

وقال الشاعر

من جاوز النعمة بالشكر لم ... يخش على النعمة مُنتالها[1]

لو شكروا النعمة زادتهم ... مقالة الله التي قالها

لئن شكرتم لازيدنكم ... لكنها كفرهم غالها[2]

والكفر بالنعمة يدعو إلى ... زوالها والشكر أبقى لها

---

(١) اغتال الشيء أخذه من حيث لم يدر به أحد (٢) غال مثل اغتال

وقال آخر

شكر الإله بطول الثناء وشكر الولاة بصدق الولاء[1]
وشكر النظير بحسن الجزاء وشكر المنّ بحسن العطاء

وقال غيره

سأشكرك لا أني أبازيك منهما
بشكري ولكن كي يزادك الشكر
وأذكر أياما لذي اصطنعتها وآخر مايبقى على الشاكر الذكر

وقال غيره

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسًا به الزيادة عند الله والناس

وقال غيره

إن الصنائع أطواق إذا شُكرت وإن كُفرت فأغلال لمُنتحِل[2]

وقال غيره

أوليتني نعما أبُوح[3] بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمُت
فلتشكرنك أعظمي في قبرها

---

(١) المحبة (٣) انتحل الشيء اذا ادعاه لنفسه (٣) أعترف

الإخلاص

هو أن يعمل المرء الخير بوحي ضميره الخالص . ويقدم الإحسان بدافع نفسه الطاهرة . قاصدا وجه الله الكريم . وطالبا ثوابه العظيم . غير ناظر لسمعة أو متطلع لشهرة . إذ كل ما يعمل رياء لا خير فيه . ولا يجلب لصاحبه غير المقت والازدراء . وقد أثنى الله تعالى على المخلصين وذم المرائين

فقال جل شأنه (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) وقال تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) وقال عز وجل (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ(٩))

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيرا فخير . وإن شرا فشر) وقال عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) وروى النسائي عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه)

---

(٩) المعونة والعطية

وروى عن أبي ذرّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان . وجعل قلبه سليما . ولسانه صادقا . ونفسه مطمئنة . وخليقته مستقيمة) وقال عليه الصلاة والسلام (شرار أمتي المعجب بدينه . المرائي بعمله . المخاصم بحجته . والرياء شرك) وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مامن عبد يقوم مقام سمعة ورياء إلا سمّع (١) الله به على رءوس الخلائق يوم القيامة) وقال عليه السلام (أخوَفُ ماأخاف على أمتي الرياء الظاهرُ والشهوة الخفية) وقال (إن الشِرْك أخفى فيكم من دبيب النمل) — والمراد بالشرك الرياء

وقال على كرم الله وجهه . لاتعمل شيئا رياء . ولاتتركه حياء

وقال بعض الحكماء . من التمس أربعا بأربع التمس مالايكون . من التمس الجزاء بالرياء التمس مالايكون . ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس مالا يكون . ومن التمس وفاء الإخوان بغير وفاء التمس مالايكون . ومن التمس العلم براحة الجسد التمس مالايكون

وقال بعض الفصحاء . المرائي يتبهرج بزيّ الصلحاء وليس منهم .

---

(١) شهره

ويظهر بمظهر الأخيار وهو خلافهم . حتى يستعطف القلوب النافرة ويخدع العقول الواهية

وقال بعض الفضلاء : لتكن سريرتك أحسن من علانيتك

وقال آخر . الرياء يفضي بصاحبه إلى استهزاء الناس به

وقال بعض الصلحاء . كل حسنة لم يُرد بها وجه الله فعلتُها قبح الرياء وثمرتها سوء الجزاء . وقال آخر . كل ورع يحجب صاحبه أن يعامله غير الله فليس من الله في شيء . ولو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس به أنه كتمه فهو من أقبح الرياء

وقيل . المتزين بما ليس فيه كلابس ثوبَي زور . فهو برئائه محروم الأجر . مذموم الذكر . لأنه لا يقصد وجه الله تعالى فيؤجر عليه . ولا يخفى رثاؤه على الناس فيُحمَد به

وقال الشاعر

وأفضل البر مالا من يتبعه ... ولا تقدمه شيء من المطل (١)

فإنما الجود بذل ثم تكافه (٢) به ... صُنعا ولم تنتظر فيه جزا رجل

وقال آخر

---

(١) التأخير مع المِلاينه (٢) لم تطلب مكافأة عليه

عليك بالصبر والإخلاص في العمل
ولازم الخير في حلّ ومرتحل (٣)

الصراحة

خلق يوجب على الإنسان الإفصاح بما في قلبه من غير زيغ ولا مراوغة. فليس من العيب أن يسرد الإنسان لأخيه كل ما تجريات الحياة بوضوح وجلاء حتى يتضافرا معا على الإصلاح . ولكن العيب كل العيب أن يتلون المرء في أحواله ومعاملاته وحادثاته . ثم هو يعلم أن للسان سقطات . وللوجه علامات ومهما يُبطن تُظهره الأيام . ولا شك بعدها أن تُعرف حقيقة أمره وتظهر خبيئات نيته . ويفتضح سوء عمله . ولا يلومنّ بعدئذ إلا نفسه حيث ينفض الكل من حوله . ويبرأ الجميع من معرفته

قال الله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) وقال جل شأنه (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)

{٣} الاقامة والسفر